

كلمة التحرير: المبادرة والفعل الحضاري

"أعترف أنني لا أفهم جيداً هذا القول الذي يردده قوم عقلاء: هذا شعب ليس جاهزاً للحرية، ففي فرضية كهذه مثلاً لن تأتي الحرية أبداً، لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان جاهزاً للحرية إن لم يكن قد عرف الحرية من قبل"
إيمانويل كانط

يتأسس المشروع التنويري، كأبي مشروع ضخم، على التراكم: تراكم المعارف والخبرات. ولكل شيء بداية كما جاء في القول الفرنسي المأثور: "Il y a toujours une première fois". فلتكب الأعلام، ولتفتح الأذهان على رياح الفكر الأربع التماساً لتخصيب العقول وقدر زناد المواهب في شتى حقول المعرفة حتى نتخلى عن المطلقات، ونقنع بحدود بشريتنا ونسبية معارفنا وجميعها مقدمات ضرورية للتخلص من التصلب rigidity الفكرية والعقدية والقيمية. ذلك أنه لا انخراط ممكن في الفكر العالمي النقدي الحديث، وقبول التنوع والاختلاف والقدرة على التطور، دون مرونة وانفتاح فكريين. وقبل ذلك وبعده: الإيمان بقصورنا الأنطولوجي عن إدراك المطلق في كل شيء.

في هذا الإطار تنزل القولة الكانطية التي صدرنا بها هذا التقديم. وفي عمقها دعوة إلى المغامرة، لأن في جوهر كل مشروع مجازفة وتحريضاً على الاندفاع بقوة صوب المجاهيل. وعلى تخوم الحلم وأقاصي المني تنبت أزهار الأمل، وتزهر، ويضوع أريجها. وهو قول يسقه كل دعوة للتخذيل وتثبيط الهمم عن الفعل الإبداعي المحرك للسواكن، وخلخلة البنى الذهنية والاجتماعية والثقافية للأمم والشعوب مهما كان واقعها بائساً مظلماً. وقد دأبت مجلة "نقد وتنوير" على الدفع بهذا المشروع، والانخراط في أسئلته أكثر فأكثر عبر أعدادها المتلاحقة. ولم يشد هذا العدد الرابع عشر عن هذه التهج. فقد سعت بمقالاتها ودراساتها وبحوثها الأربع والعشرين إلى فتح نوافذ على شتى الحقول المعرفية: العلوم التربوية، والسوسيولوجيا، والنقد الأدبي، والمقاربات الفلسفية، والمطارحات الحضارية الخ... واستحضر كتاب العدد الذين أثثوا هذا العدد مناهج كثيرة ومقاربات متنوعة لمعالجة المسائل التي طرحوها، فكانت منها المقاربة البيئية (انظر مثلاً: نحو قراءة بيئية للخطاب الديني)، والمنهج التفكيكي (انظر مثلاً: تفكيك القيم في الشعر العربي القديم) والمنهج التحليلي (الجهود التربوية في مؤتمرات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لمواجهة ظاهرة التطرف: دراسة

تحليلية) والمنهج النقديّ الأسلوبى (انظر مثلا: نظرية العوالم الممكنة: مدخلٌ إلى دراسة العوالم القصصية في النادرة) والمنهج الإحصائيّ (انظر مثلا: مقال: البرامج الاجتماعية في ظل المشاكل المعاصرة للشباب في تونس: دراسة سوسيوديموغرافية)، والمنهج الحفريّ الأركيولوجيّ (انظر مثلا: مستويات وتجليات ثقافة الأمراض والأوبئة في المغرب الأقصى) الخ... ولا مرأى في أنّ تكثّر المناهج ملامح أساسيّ من ملامح الفكر العالميّ الحديث، ولا يقلّ أهميّة عن ارتياد حقول معرفيّة بكر ، إذ يقوم الإستيمه *épistémè* المعاصر على براديجمات مستحدثة تمكّن من رصد زوايا لم تدرك من قبل في مقارنة قضايا وظواهر وإشكاليات، وإن بدت قديمة قد تعاورتها الأقلام والأفهام بالدّرس والتّمحيص. فكيف إذا كان بعضها ممّا يندرج ضمن الكشوفات المعرفيّة الجديدة؟

في الختام لا يسعنا إلا أن نشكر كلّ من ساهم في إخراج هذا العدد 14، من كتّاب أكاديميين أثّروا هذا العدد، ومدقّقين لغويّين ومحكّمين، وتقنيّين سهروا على تنسيق العدد وإعداده تقنيّا.

مدير التحرير: د. امبارك حامدي
